

نفحات القرآن

[262] عجائب البحار ! تقول الآية الاولى معرّفة بالذات الإلهية المقدسة (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ). ويدلّ على هذا التعبير على أنّ البحر بكل وجوده في خدمة الإنسان، والحق كذلك، فالولُ براعم الحياة تتفتح في البحار، وقد كان البحر فيما مضى وحاضراً مصدرًا مهمًّا لأنواع حاجات الإنسان وديمومة حياته. ويستند في سياق هذه الآية إلى ثلاثة مواضع: . اولها: يذكر فائدة البحر في استخراج وسائل الزينة لا سيما الجواهر (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا). فكأنّه يقول: يخرج من البحر المواد الغذائية الضرورية جداً وحتى الحاجات غير الضرورية والكمالية، (وكُلُّهَا مُسَخَّرَةٌ لَكُمْ). وفي الموضع الثالث يخاطب النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قائلا: (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ). * * * وفي الآية الثانية تكررت ذاتُ الذِّعَم الثلاث التي أُشيرَ إليها في الآية السابقة (اللاحم الطري، والحلّي، وحركة السفن على سطح البحار) أيضاً، واستند إليها، مع هذا الاختلاف حيث يشير في مطلع الآية إلى بحار الماء العذب والماء المالح فيقول: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ). ومع أنّ أكثر مياه البحار على سطح الأرض مالحة إلا أنّ بحار وبحيرات المياه العذبة ليست قليلة أيضاً، حيث تُشاهد نماذج عديدة منها في الولايات المتحدة، وكثيراً ما يستفاد منها، إضافة إلى الانهار الكبيرة التي تصب في البحار المالحة وتتوغل فيها، فتدفع المياه المالحة إلى الخلف ولا تختلط معها لفترة طويلة فتُشكّلُ بحراً من الماء العذب حيث يسقي كثيراً من السواحل أثناء المد والجزر، مما يؤدي